سينما

عن عام سينمائي عربي قاس
الأعطاب مستمرّة فلا إصلاح ولا تغيير

ينتهي عام 2021 سينمائياً بحملتين عنيفتين وحادّتين ضد فيلمي «ريش» لعمر الزهيري و«أميرة» لمحمد دياب لأسباب تتعلّق بالموضوع لا بالسينما

نديم جرجوره

ينتهي عامٌ، كانتهاء أعوامٍ كثيرة سابقة. احتفالات اليوم الأخير متشابهة. التحوّل الحاصل في العالم منذ عامين يُفترض به أنْ يُصيب هذا التقليد في مَقتل، لكنّ الاحتفال بنهاية عام وبداية آخر ركنٌ ثابتٌ في أفئدة شعوبٍ وأرواحها، وفي انفعالات أناسٍ وعقولهم. الأزمة الاقتصادية الخانقة في لبنان لن تحول دون احتفالٍ كهذا، وإنْ تكن تجربة العام الفائت مريرة، فكورونا ينتظر احتفالاتٍ كهذه لتحقيق أهدافٍ جديدة له، في بلدٍ منهار في مستوياتٍ كثيرة له، أبرزها الأخلاق، المُنعدمة أصلاً في شؤونٍ وعلاقات وتفاصيل. الفقر المتفشّي في البلد يتفوّق على قدرات كورونا في الانفلاش باسمه الأصلي، أو بمفردات متحوّلاته، الآيلة . كما يبدو . إلى مزيدٍ من متحوّلات أخرى.

ينتهي عامٌ مليءٌ بالقهر والتمزّق، كما بالرخاء والانفصال عن الواقع والعيش برفاهيةٍ، يُحسَد عليها مُتنعّمون بها. أشهرٌ طويلة، سابقة على نهاية هذا العام، تقول إنّ بؤساً يتغلغل في الاجتماع، وإنّ شقاءً ينقضّ على أناس، وإنّ مراراتٍ كثيرة تُصيب أفراداً في عيشهم وأجسادهم وأرواحهم. لكنّ انقلاباً على هذا غائبٌ، ولغيابه أسبابٌ، يتفنّن قليلون في بلورة فلسفتها، وبعض البلورة مقبول وحقيقيّ، كأنْ يُقال إنّ شدّة البطش، وعنف النهب، وسطوة تناتين سياسة ومال وأمن على البلد وناسه، أسبابٌ فاعلةٌ في انكفاء لبنانيين ولبنانيات عن مواجهةٍ وتمرّد. كأنْ يُقال أيضاً إنّ تحويلات كثيرة بالدولارات الأميركية، من خارج إلى داخل، كفيلةٌ بإسكاتٍ من يحصل عليها من قريبٍ أو مهنة، والسكوت متأتٍ من اكتفاءٍ ذاتيٍّ، رغم «انقراض» أدويةٍ وأطعمةٍ، وغلاء عيش، يتكفّل تحويلٌ كهذا في تخفيف حدّته، بينما يعجز، غالباً، عن استعادة المنقرض من اختفائه.

الانهيار حاصلٌ في دول ومجتمعات عربية عدّة، والأسباب متنوّعة. الخراب أيضاً، فالخراب يضرب بقوّة عقلاً وتفكيراً وإحساساً، ويدفع المرء إلى مزيدٍ من التقوقع والانكفاء والعزلة، ومن التشدّد والترهيب. سلطات تفتك بمواطنين ومواطنات لامتلاكهم جرأة قول مغاير، وفي المقابل تمنح آخرين وأخريات ما يُظنّ أنّه نعيمٌ. الفتك بالبعض تهديدٌ لهم ولهنّ أيضاً، فيلوذ هؤلاء بالصمت، أو يصرخون عالياً ضد ما يرونه مُضرّاً بالسلطة ومصالحها، لعلّ السلطة تنتبه إليهم فتمنحهم شيئاً من رضا ملوّث بدمٍ وإقصاء وقمع وإهانة.

> تكرارٌ مُملّ لأعطابٍ تنخر أحوال عيشٍ وتعبيرٍ وتواصلٍ

سينمائياً، ينتهي العام على تكرارٍ مُملّ لأعطاب، تنخر أحوال عيش وتعبير وتواصل، ما يؤكّد استحالة كلّ إصلاحٍ وتغيير وتجديد وتطوير. تصوير واقعٍ يعيشه كثيرون، بحِرفية بصرية وواقعية وجمالية باهرة، يُثير غضب طامحين إلى رضا سلطات، فيتّهمون التصوير بأنّه «إساءة إلى سُمعة البلد» («ريش» للمصري عمر الزهيري). محاولة الاقتراب من مسألة «النُطف المحرّرة»، المُهرّبة من السجون الإسرائيلية، تستنفر متشدّدين ومتشدّدات، وتحوّلهم إلى أشباه سلطة، إذْ يُنزلون بمن يحاول اقتراباً كهذا عقوبات، يتفنّنون بابتكار أشكالٍ أعنف وأخطر وأكثر أذيّة من تلك التي تُنزلها السلطات بمن تعتبرهم «أعداء» لها: إلغاء، إقصاء، تغييب، منع («أميرة» للمصري أيضاً محمد دياب). هذا غير لاغٍ لضرورة البحث في كيفية مقاربة مسألةٍ حسّاسة كهذه، وكيفية معالجتها، خاصّة في مستويين اثنين: آلية تهريب نُطف أسرى فلسطينيين إلى زوجاتهم، وهذا بحدّ ذاته فعلٌ مُقاوِم، لا يزال عصيّاً على المحتلّ الإسرائيلي فَكّ أسراره؛ ومدى «تمكّن» هذا المحتلّ نفسه من تبديل النُطف، وهذا أمرٌ خطرٌ للغاية، إنْ يحصل فعلياً.

«ريش» و«أميرة» نموذجان يعكسان شيئاً من بلادة تفكير، يرتاح إلى غضب وصراخ، فالنقاش والتفكيك يحتاجان إلى وعي ومعرفة وحيوية وانفتاح. هذا لن يكون دفاعاً عن النواة الدرامية الأساسية لـ«أميرة» (تبديل نُطفٍ فلسطينية بأخرى إسرائيلية)، فالنواة تلك غير صائبةٍ لانعدام حدوثها، وتهريب «النُطف الفلسطينية المحرّرة» جزءٌ من مقاومة المحتلّ الإسرائيلي. ربما لهذا يغيب كلّ نقاش آخر، يريد تناولاً هادئاً لكلّ ما له علاقةٌ بالسينما في فيلم، يقول . من بين أمور أخرى . إنّ البيولوجيا لن تحول دون انتماءٍ وتمسّك بهوية. الكاتب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني (1936 . 1972) يطرح المسألة قبل سنين مديدة، لكنْ بشكلٍ آخر. في روايته «عائدٌ إلى حيفا» (1970)، يُشير إلى أنّ البيولوجيا الفلسطينية تعجز عن حماية مولودٍ فلسطيني . يتخلّى عنه والداه لحظة بداية النكبة (15 مايو/ أيار 1948) . من أنْ يُصبح إسرائيلياً، بعد أن تتولّى عائلة يهودية قادمة حديثاً إلى حيفا تربيته، في منزل أهله المُصادَر من الوكالة اليهودية. أميرة، بعد اكتشافها أنّ والدها جنديٌّ إسرائيلي لا أسيراً فلسطينياً، تزداد فلسطينيةً إلى حدّ استشهادها كفلسطينيةٍ في لحظة ثأر، أو ربما في لحظة إعلان أخير بأنّها ستبقى فلسطينية.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«ريش» لعمر الزهيري: أيُسيء تصوير الواقع إلى سُمعة بلد وناس؟ (الملف الصحافي)

«حلم» أمازيغي لعمر بلقاسمي
نقاءُ صورة سينمائية وتعقيدُ قضية

عبد الكريم قادري

الأفلامُ الجزائرية المهمّة، التي تناولت قضايا المجتمع ومشاكله وتفاصيل الحياة اليومية التي يعيشها الفرد، قليلةٌ. تعالَتْ عليه، وذهبَتْ إلى الأفلام الثورية، التي لها حصّة الأسد في الإنتاج العام، تليها مواضيع العشرية السوداء. أي أنّ ثيمات السينما الجزائرية باتت محصورة في خطّين أساسيين: الثورة التحريرية والعشرية السوداء، وكلاهما يعالج قضايا الكفاح والمواجهة والعنف، فتُتناسى . وسط هذا . هموم المواطن العادي، ومشاكله اليومية التي تنخر جسده ونفسيته يومياً. لكنّ هذا لا يعني أنْ لا أفلام تتناول هذه الثيمة، الموجودة، لكن قليلاً، من دون أنْ تعكس توجّهاً، أو تخلق تياراً، كـ«القلعة» (1989) لمحمد شويخ، و«ريح الجنوب» (1975) لمحمد سليم رياض، المقتبس من رواية بالعنوان نفسه لعبد الحميد بن هدوقة، و«عمر قتلاتو» (1976) لمرزاق علواش، أحد أهم الأفلام الخارجة على سياق السينما الثورية، التي (الأفلام) قطعت خطّها الفاصل والممتد، من قلب الثورة (1954 . 1962) إلى ما بعد الاستقلال (5 يوليو/تموز 1962)، وأصبح الخروج منها ومن مواضيعها نوعاً من عبثٍ وطيش، في نظر المجتمع والسلطة. علواش استطاع أنْ يكسر هذا الخطّ، ويصنع فرقاً، ويؤسّس مرحلة مهمّة من تاريخ السينما الجزائرية.

الفيلم الجزائري «حلم» (2021)، أول روائي طويل لعمر بلقاسمي (مساعد مخرج وكاتب سيناريو منذ عام 2010، أخرج فيلمه القصير الأول «ضياء» عام 2015، وله فيلم متوسّط الطول بعنوان «الموجة»)، وتقاليد موروثة من قرون. هذه المعطيات لم تعد تصلح لهذا الجيل، ولم تعد تُلبّي متطلّباته. لذا، يجد الجيل الجديد نفسه في مواجهة مستمرة مع اللجنة، التي تعرف بالأمازيغية بـ«ثاجماعث»، أي «الجماعة»، التي تتكوّن من أفرادٍ يمتلكون سلطة عرفية لتسيير شؤون القرية.

في «حلم» . الفائز بجائزة «الفيدرالية الأفريقية للنقد السينمائي (FACC) في الدورة الـ32 (30 أكتوبر/تشرين الأول . 6 نوفمبر/تشرين الثاني 2021) لـ«أيام قرطاج السينمائية» . استطاع المخرج وكاتب السيناريو عمر بلقاسمي أنْ يحيط بجوانب هذا الموضوع، مُظهراً العيوب والأعطاب التي تؤذي الأفراد بسبب تلك القوانين العرفية.

إنّها قصّة الشاب المحبوب والطيب كوكو (كسيلة مصطفى)، ذي الـ20 عاماً، الذي يدخل في مواجهات مستمرّة مع لجنة شيوخ القرية، ومع والده الذي يساندها، لكونه عضواً فيها. هذا بسبب التصرّفات الإنسانية، التي يراها كوكو صائبةً، انطلاقاً من روحه النقيّة وسجيّته. هذا لا يراه هؤلاء الشيوخ، الذين يعتقدون أنّه خرج على طاعتهم وهيبتهم، لأنّه بسلوكه هذا تحدّاهم. أكثر من ذلك، هو يعزف على آلة القيثارة، ويغنّي ويرقص، إضافةً إلى مظهره المختلف، بسبب إطلاق شعره، الذي يرفضونه من منطلق ديني ومجتمعي، ويعتبرونه خروجاً على الأعراف والنظم، فيُقرّرون نفيه من القرية، وإرساله إلى مستشفى الأمراض العقلية بحجّة الجنون.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«حلم» لعمر بلقاسمي: جمال طبيعة وقسوة تقاليد وأحكام (الملف الصحافي)

> الذهاب إلى الهامش والاقتراب من فضاءات منطقة القبائل

ذهب إلى الهامش، مقترباً من الفضاءات الريفية في منطقة القبائل (الفيلم ناطق بالأمازيغية)، حيث تعيش مجتمعات في القرى الجبلية البعيدة عن المدن، يحيط ناسها أنفسهم بقوانين وأعراف ورثوها جيلاً بعد جيل، يُسيّرون بها الشؤون الاجتماعية والدينية والتفاصيل اليومية للأفراد، بعقلية الماضي، وانطلاقاً من عادات

أفلام جديدة

■ 355 لسيمون كينبرغ، تمثيل جيسيكا تشاستن (الصورة) ولوبيتا نْيونْغو وبينيلوب كروز وديان كروغر وفان بينغبينغ: لمواجهة منظمة إرهابية تقضّ مضاجع العالم برمّته، بسبب مشاريعها العنفية وتصاميمها المخيفة للمستقبل والحاضر معاً، تتّفق وكالات الاستخبارات والأمن في 5 دول على تشكيل فريق نسائي من أبرز العميلات وأجرئهنّ وأقدرهنّ على مواجهة حالاتٍ كهذه، يُكلّف (الفريق) لمُطاردة المنظمة والعاملين فيها.

■ Disenchanted لآدم شانكمان، تمثيل آمي أدامز (الصورة): قبل 15 عاماً، وجدت الأميرة جيزيل نفسها في مانهاتن، بعد طردها من مملكتها الخيالية في الأندلس. التقت بأميرها الساحر، فتتزوجه وينتقلان معاً، رفقة ابنتهما، إلى مونروفيل، في حيّ تُديره مالفينا مونرو، التي لا تستسيغ أبداً إقامة العائلة في حيّها. جيزيل تريد العودة إلى حياتها السابقة، لكن تعويذة تحلّ عليها، تحول دون ذلك. هذا يدفعها إلى إيجاد خطة لإنقاذ عائلتها ومملكتها معاً.

■ Notre Dame Brule لجان . جاك آنو، تمثيل إلودي نافارّ (الصورة): إعادة تصوير دقيقة (ساعة بساعة) للوقائع المذهلة لأحداث 15 إبريل/نيسان 2019، المتمثّلة في تعرّض كاتدرائية نوتردام في باريس إلى أسوأ كارثة تحلّ عليها في التاريخ، مع اندلاع النار فيها. يُصوّر الفيلم أيضاً تعرّض رجال ونساء كثيرين للخطر وهم يحاولون إنقاذ الكاتدرائية في عملٍ بطولي.

■ Madeleine Collins لأنطوان بارّو، تمثيل فرجيني إيفرا (الصورة): تعيش جوديث بين فرنسا وسويسرا. من ناحية أولى، هناك عبدل، الذي تُربّي معه طفلة صغيرة؛ ومن ناحية ثانية، هناك ملفيل، الذي أنجبت منه ولدين أكبر سنّاً من الطفلة. هذا التوازن «هشّ» للغاية، فحياة كهذه مليئة بأسرار وأكاذيب، وحالات ذهاب وإياب بدأت تمزّق حياتها وتُنذر بمخاطر جسيمة. لكن قرارها ربما بن يكون أقل خطورة: اختارت الاندفاع المتهوّر والتسلّق المذهل.

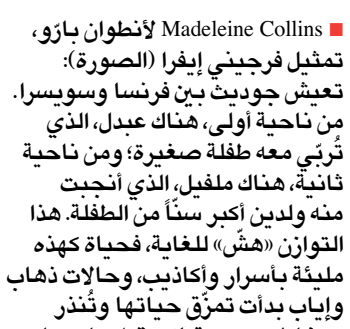

■ The Contractor لطارق صالح، تمثيل جيليان جايكوبز (الصورة) وكريس بين وبن فوستر: تسريحه من البحرية الأميركية يدفعه إلى البحث عن عملٍ يؤمّن حماية لعائلته، فينتسب إلى منظمة شبه عسكرية لأحد قدامى المحاربين. أول مهمّة يُكلَّف بها في بولندا، تفشل، فيجد جيمس نفسه وحيداً ومُطارداً في أوروبا الشرقية. عليه أنْ يُدافع عن نفسه للبقاء حيّاً، ولكشف الحقائق.